

2/- الإجراءات التحضيرية للمحاكمة أمام محكمة الجنايات الابتدائية: تعتبر المحاكمة أمام محكمة الجنايات من أصعب المحاكمات ضد المتهم لما يمكن أن تنطوي عليه من أحكام قاسية قد تصل حد الإعدام، لذلك بات من الضروري التأكد أولاً من جاهزية ملف الدعوى العمومية للفصل فيه، و هو ما يعرف في قانون الإجراءات الجزائية بالإجراءات التحضيرية.

و قبل تفصيل هذه الإجراءات يتعين ابتداءً أن نعرف بمحكمة الجنايات، فمحكمة الجنايات الابتدائية أو الاستئنافية توجدان كلاهما بمقر المجلس القضائي، تختصان بالنظر و الفصل في الجرائم الموصوفة بجنايات، و كذا الجنح و المخالفات المرتبطة بها، و المحالة إليها بمقتضى قرار نهائي من غرفة الاتهام. و تكون الأحكام الصادرة عن محكمة الجنايات الابتدائية أحكام ابتدائية قابلة للاستئناف أمام محكمة الجنايات الاستئنافية، و محكمة الجنايات هي صاحبة الولاية العامة و لا يجوز لها البتة أن تقضي بعدم الاختصاص. فعلى سبيل المثال لو أن محكمة الجنايات تصدت لملف أحيل عليها من غرفة الاتهام على أساس جنائية، ثم ارتأت المحكمة إعادة تكييف الوقائع و رأت بأنها تشكل جنحة فإنه يتعين عليها الفصل في تلك الجنحة و لا يجوز لها أن تدفع بعدم اختصاصها بالنظر و الفصل في الجنح لأنها صاحبة الولاية العامة، فمن يملك الكل يملك الجزء، و من يملك حق الفصل في أشد الجرائم خطورة و هي الجنايات، يملك الفصل في ما دون ذلك خطورة إجرامية؛ و نقصد بها الجنح.

و محكمة الجنايات ليست منعقدة على الدوام كما هو الشأن بالسبة لقسم المخالفات أو الجنح، و إنما تعقد في شكل دورات؛ دورة كل ثلاثة أشهر، كما يمكن لها أن تعقد دورة أو دورات استثنائية كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

تشكل محكمة الجنايات من ثلاثة قضاة محترفين و من أربعة قضاة شعبيين يطلق عليهم المحلفين، و من كاتب للجلسة و ممثل للنيابة العامة، و الذي غالباً ما يكون النائب العام بالمجلس القضائي أو أحد النواب العامين المساعدين، و يوضع تحت تصرف رئيس المحكمة عون الجلسة يسهر على حفظ النظام داخل قاعة الجلسات.

تشكل محكمة الجنايات الابتدائية من قاض برتبة مستشار بالمجلس على الأقل رئيساً، و من قاضيين مساعدين، و من أربعة محلفين.

و تشكل محكمة الجنايات الاستئنافية من قاض برتبة رئيس غرفة بالمجلس القضائي على الأقل رئيساً، و من قاضيين مساعدين، و من أربعة محلفين.

و تشكل كل من محكمة الجنايات الابتدائية و محكمة الجنايات الاستئنافية من القضاة المحترفين فحسب عندما تفصل في جرائم: الإرهاب، التهريب، و المخدرات (أنظر في ذلك المادة 258 ق.إ.ج).
و تجدر الإشارة هنا أنه و تحقيقا لمبدأ الفصل بين الوظائف القضائية فإنه لا يجوز لمن سبق له نظر قضية ما بوصفه قاضيا للتحقيق أو عضوا بغرفة الاتهام أو قاضيا للحكم أو ممثلا للنيابة العامة، أن يجلس للفصل فيها من جديد بوصفه قاضيا في هيئة حكم محكمة الجنايات.

و المحلفون هم أشخاص شعبيون، من عامة الناس، ذكورا كانوا أم إناثا، جزائريو الجنسية، بالغون من العمر ثلاثين سنة على الأقل، ملمون بالقراءة و الكتابة، و مشهود لهم بحسن السيرة و السلوك، تشترط فيهم بعض الشروط البسيطة معددة بنصوص المواد 261 إلى 263 من قانون الإجراءات الجزائية.
يتم سنويا إعداد قائمتين في دائرة اختصاص كل مجلس قضائي، تعنى الأولى بمحلفي محكمة الجنايات الابتدائية، و تتعلق الثانية بمحلفي محكمة الجنايات الاستئنافية، هاتين القائمتين يتم إعدادهما في الثلاثي الأخير من كل سنة للسنة التي تليها، تضم كل قائمة أربعة و عشرون محلفا موزعين على كل دائرة اختصاص المجلس القضائي بحيث يراعى في ذلك التوزيع الجغرافي العادل لدائرة اختصاص المجلس القضائي. و علاوة على القائمة الأصلية، تعد قائمتان احتياطيتان تضم كما منهما أسماء باثني عشر محلفا احتياطيا.

و قبل انعقاد دورة محكمة الجنايات (الابتدائية أو الاستئنافية) بعشرة أيام على الأقل يتم سحب - عن طريق القرعة من القائمة السنوية - أسماء اثنا عشر محلفا معينين بتلك الدورة بصفتهم محلفين أصليين، و بنفس الطريقة يتم سحب أربعة محلفين احتياطيين لتكملة العدد فيما لو لم يبلغ نصاب المحلفين العدد الكافي يوم المحاكمة.

يتم إعلام المحلفين المختارين لتلك الدورة عن طريق القرعة بواسطة النائب العام، كما يتم أيضا تبليغ المتهم بقائمة المحلفين المعينين بتلك الدورة و بنسخة عن قرار الإحالة، و يتم استجواب المتهم من قبل رئيس محكمة الجنايات أو ممن ينوبه في أقرب وقت ممكن للتأكد من هويته و من تبليغه بقرار الإحالة و من استعانتته بمحام، فأن لم يكن مستعانا بمحام، عين له القاضي تلقائيا محاميا. كما يتعين على النيابة و المدعي المدني إعلام المتهم بقائمة الأشخاص المرغوب في الاستماع إليهم بوصفهم شهودا في القضية، و بنفس الشروط و الإجراءات يخطرهم المتهم بقائمة شهود النفي الذين يرغب المتهم في الاستماع إليهم عند المحاكمة.

بمباشرة الإجراءات التحضيرية، و متى كان ملف الدعوى مستوفيا لجميع الشروط و الإجراءات القانونية تكون الدعوى مهية للفصل فيها.

و بحلول اليوم و الساعة المحددين للجلسة تنعقد محكمة الجنايات الابتدائية للنظر و الفصل في موضوع الاتهام، أين تعرف المحاكمة بدورها ثلاثة مراحل موزعة بين المرافعات و المداولات و صدور الحكم، نحاول إيجاز كل مرحلة على حده.